القدس في الاستراتيجية الاسرائيلية

رفعت سيد أحمد

ظلت القدس، ولفترة طويلة، بؤرة الصراع العربي ـ الصهيوني؛ وهي، دائماً، أحد الاهتمامات الاساسية في لقاءات القمة العربية، منذ العام ١٩٦٧ وحتى اجتماع الدار البيضاء العام ١٩٨٥[١]؛ وكذلك أحد المحاور الهامة التي ارهقت المفاوض الاسرائيلي، والمصري، ابّان مباحثات كامب ديفيد العام ١٩٧٩[٢]. فبالاضافة الى كونها قطعة من أرض عربية محتلة، فهي تمثل رمزاً تاريخياً هاماً يرتبط به، دينياً، أكثر من مليار مسلم، ومليار ونصف مسيحي على الأقل. وفي الارتباط هذا تتوحّد قيم السياسة مع الدين، والثقافة مع التاريخ، لتشكل معاً تركيبة نفسية ـ سياسية ـ ثقافية يصعب فكها أو تحدّيها بسهولة. ولقد أدركت الاستراتيجية الصهيونية هذه الحقيقة منذ البداية، فشرعت، منذ العام ١٩٦٧، في أوسع عملية تهويد لهذه المدينة، ببطء وسرية، بغية تجزئة المواجهة المحتملة مع العالم المرتبط بالمدينة المقدسة على مراحل، واجباره على القبول بالمنهج الصهيوني في تهويدها.

في ما يلي، نذهب الى رصد بعض ملامح الاستراتيجية الاسرائيلية تجاه القدس، وذلك وفق رؤية تنتقي بعض المواقف والسياسات، وتأخذها نماذج لقياس بشاعة ما يحدث في المدينة؛ ثم تحليل ما حدث تجاه تهويد التراث الديني (المسيحي والاسلامي) فيها؛ ومناقشة قانون ضم القدس؛ وما سمي «مشروع القدس الكبرى».

القدس ـ لمحة تاريخية وجغرافية

تقع القدس في منتصف القلب من فلسطين، مع ميل واضح باتجاه الشرق، على جبل تتراوح ارتفاعاته بين ٧٢٠ و ٧٨٠ متراً عن سطح البحر. وتنقسم المدينة الى قسمين: احدهما داخل السور ويسمى بالبلدة القديمة، ومساحتها حوالى كيلومتر مربع، وتقع فيها الأماكن المقدسة الشهيرة (الحرم الشريف والمسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة وكنيسة القيامة وغيرها)؛ والقسم الثاني خارج السور. أما السور، بحد ذاته، فقد بني منذ القدم؛ وأُعيد تجديده في مراحل الحكم المختلفة التي توالت على المدينة. طوله ٤٢٠٠ متراً وارتفاعه ٣٠ قدماً، وله سبعة أبواب شهيرة هي (العمود، والساهرة، والنبي داود، والمغاربة، والأسباط، وباب الخليل، والباب الجديد)، وكان به، مع بداية الستينات من هذا القرن، ٣٠ برجاً وقلعة كبيرة.

المعروف، تاريخياً، ان اليبوسيين هم بناة القدس الاولون. فقد نزحوا من الجزيرة العربية مع القبائل الكنعانية التي ينتمون اليها واستوطنوا هذه الديار حوالى العام ٣٠٠٠ ق. م. أي ان الاصول العربية لهذه المدينة تسبق أي وجود يهودي مزعوم فيها.

وتورد المصادر التاريخية ان أول اسم أطلق على القدس هو «يبوس» في عهد ملك اليبوسيين